الإطار العام

مقدمة:

الحمد لله تعالى الذي أكمل الدين، وأتمّ النعمة، والصلاة والسلام على خير الأنام الذي أقام الملّة، وعلَّم الأمّة، وبلَّغ الدعوة، وعلى آله وصحبه الكرام الذين اعتصموا بالكتاب والسنّة، وخدموا الدين والأمة، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

وجدت في بعض المجتمعات المسلمة مظاهر للانحرافات الفكرية والتطرّف الديني والطائفي الذي تحوّل إلى ممارسات عنف وإرهاب أضرّت بالمجتمع، وأثّرت على استقراره وأمنه،كما ظهرت العديد من السلوكيات الدخيلة والغريبة عن القيم الإسلامية، والعادات والأعراف الوطنية والاجتماعية، لدى عدد من فئات المجتمع، خصوصاً الفئات الشبابية والتي ترجع إلى تأثّر هذه الفئة بما تحمله القنوات الفضائية، وشبكة الانترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، من برامج ومحتويات تتضمن مخالفات صريحة في الكثير منها لقيم المجتمع ومبادئه التي تنبع من قيم الدين الإسلامي ومبادئه ،كما يعدّ وجود هذه المظاهر مؤشّراً على ضعف الانتماء والمواطنة لدى هذه الفئة.

ويعدّ الالتزام بقيم المواطنة وممارستها عملياً بين الأفراد الأساس الذي يحمي أفراد المجتمع من الخروج عن دائرة الوطن، ويشكّل وقاية لهم من فقدان الهوية الوطنية التي يتميّزون بها، ولهذا يُعدّ إكساب قيم المواطنة لدى أفراد المجتمع وممارستها في ظلّ المستجدات والتحديات المعاصرة التي تهدّد الوطن قضية أمن وطني (الجمال، 2008م، ص30).

وقد جعلت المملكة العربية السعودية التربية على المواطنة الصالحة ضمن أولوياتها القصوى، حيث هدفت من خلال سياستها العامة إلى ترسيخ قيم المواطنة وتفعيلها بين أفراد المجتمع، ليكونوا مواطنين صالحين لوطنهم وأمّتهم، وقد سخرت جهودها وإمكانياتها ل تنمية الوعي الوطني بين أفراد المجتمع من خلال قيام الوسائط التربوية المختلفة بغرس قيم المواطنة التي تعزز لدى الأفراد تحمل مسؤولياتهم تجاه وطنهم، وتوجه سلوكياتهم وممارساتهم، واتجاهاتهم الوطنية، والتي من شأنها دفع المقومات المختلفة لبناء المواطن الذي يعمل لخدمة دينه ووطنه ويقوم بالواجبات المطلوبة تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه.

ويؤدي المسجد كإحدى وسائط التربية دوراً بالغ الأهمية في تنمية قيم المواطنة لدى أفراد المجتمع، باعتبارها مطلب شرعي، ووطني، وذلك من خلال الدروس الشرعية، والمواعظ وخطب الجمعة، ونحوها، حيث تعددت الشواهد من السنة النبوية المطهرة التي تبين دور المسجد التربوي في تعزيز روح المواطنة، من خلال الحث على حب الوطن، والدفاع عنه وتحث على التحلي بقيم المواطنة، فقد أرسى رسول الله ﷺ عند قدومه إلى المدينة المنورة قواعد الدولة الإسلامية، وكان بحق أول من وضع المعنى الحقيقي لمفهوم المواطنة المسؤولة والمحدودة بحدود وضعها رسول الله ﷺ كعلاقات توقع مسؤولية من أخلّ بداخلها تحت دائرة حكم الإسلام ومرجعيته،حيث إنّه عند قدومه إلى المدينة المنورة وبعد استقراره فيها، قام بإزالة أسباب الخلاف بين الأوس والخزرج، وأسّس مسجده الذي اتّخذ مركزاً للدولة تقام فيه الصلوات وتتّخذ منه القرارات،وآخى بين المهاجرين والأنصار،لتجاوز التمايز الواقعي الذي يحول دون صهرهم في بوتقة التجربة الجديدة.كما عقد رسول الله ﷺ اتفاقاً مع المسلمين وغير المسلمين من يهود المدينة، عُرف باسم (صحيفة المدينة) والتي تعدّ أوّل مرجعية دستورية في الإسلام حدّد فيها أساس المواطنة في الدولة الإسلامية، ونظّمت الحقوق والواجبات بين شرائح متعدّدة من الديانات والأعراق كاليهود في المدينة (العيساوي،1427هـ، ص100).

وقد تضمّنت هذه الصحيفة التي تحتوي على(47) بنداً،العديد من المشتركات القيميّة مع مبدأ المواطنة،من خلال الاعتراف بالتعدّدية واحترام حقوقها وواجباتها بكلّ من سكن المدينة مسلماً كان أو غير مسلم،وتأكيدها على مفهوم النّصرة المتبادلة بين سكّان المدينة مسلمين وغيرهم،قال رسول الله ﷺ في البند السابع والثلاثين من الصحيفة: "وإنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإنّ بينهم النّصح والنّصيحة والبرّ دون الإثم، وإنّه يأثم امرؤ بحليفه وإنّ النصر للمظلوم " (العيساوي،1427هـ، ص74).

كما أرشد رسول الله ﷺ المسلمين من خلال خطبه ومواعظه إلى العديد من المقوّمات التي تتحقّق من خلالها المواطنة الصالحة في الإسلام، والتي تعمّق الروابط الاجتماعية والسياسية بين أفراد الوطن والدولة، من خلال ممارسة الحقوق والواجبات، ومن ذلك حثّه لأفراد المجتمع المسلم على السمع والطاعة والعقد والبيعة للإمام ولزوم جماعة المسلمين، وعدم

الخروج عن ولاة الأمور ما أقاموا فيهم الدين، قال رسول الله ﷺ "عليكم بالجماعة وإيّاكم والفرقة، فإنّ الشيطان مع الواحد،وهو من الاثنين أبعد،ومن أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة"(الترمذي،1395هـ، رقم الحديث 2165، ص465، صحيح)، "فأكثر نصوص الجماعة إنّما تنصرف إلى جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمر من أمور دينهم،أو دنياهم ممثّلين بأغلبهم،وبعلمائهم وأهل الفضل والصلاح والاستقامة،وأهل الحل والعقد، وذلك كلّه مشروط بإتّباع السنّة والمعروف"(العقل،1412هـ، ص62).

وتعد خطبة الجمعة إحدى الوسائل المشروعة التي تؤدي دوراً بالغ الأهمية في تعزيز روح المواطنة الصالحة بين أفراد المجتمع، حيث خص الإسلام الأمة المحمدية بيوم الجمعة، ومن أولويات هذا التخصيص هو استثمارها فيما يفيد المجتمع ويقوي الدين، فكانت خطبة الجمعة أهم وسيلة لإيصال المادة الدينية والاجتماعية والوطنية للفرد والمجتمع، وقد وضع الإسلام خطبة جمعة يتناول فيها الخطيب قضايا الأمة والدين وسبل علاجها(العمر 2016م، ص308).

كما تعد خطب المسجد الحرام ذات أهمية أكبر، حيث يمتد تأثيرها إلى جميع المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وفي المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص، وهي تلعب دوراً بالغ الأهمية في توجيه أفراد المجتمع السعودي نحو الوحدة الوطنية، في ظل ما تواجهه المملكة العربية السعودية من تحديات داخلية وخارجية.

لذا رأى الباحث اختيار دراسة دور خطب المسجد الحرام في تعزيز قيم المواطنة وذلك بالنظر إلى أهمية هذا الموضوع، في ظل ما تواجهه المملكة من تحديات أثرت على روح الوطنية والمواطنة لدى بعض أفرادها.

مشكلة الدراسة:

شهدت المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة أحداثاً أثرت على استقرار المجتمع وأمنه، حيث ظهرت فئات من أفراد المجتمع تتسم بانحرافها الفكري، والذي أدى إلى تهديد أمن المجتمع واستقراره، فبعضهم قد تأثر بالأفكار المنحرفة والمتشددة دينياً، والتي نتج عنها العنف والإرهاب (الطريف،1435هـ،ص16)، والبعض الآخر قد تأثر بما تحمله الحضارة الغربية من قيم بديلة مخالفة لقيم الإسلام وتعاليمه، فسقطوا في براثن الانحراف الأخلاقي

والاجتماعي. لذا ينبغي على مؤسسات المجتمع تكثيف الجهود التربوية في تعزيز روح الوطنية والمواطنة في نفوس أفراد المجتمع لمواجهة هذه المشكلات والتحديات.

وبالنظر إلى أهمية خطب المسجد الحرام ودورها التربوي، وفي ضوء ما سبق ذكره حول أهمية تنمية قيم المواطنة، وما شهدته المجتمعات الإسلامية من تهديدات أمنية نتيجة للانحراف الفكري لدى بعض الأفراد، سعى الباحث إلى دراسة هذا الموضوع المهم، من خلال استهداف الكشف عن دور خطب المسجد الحرام في تعزيز قيم المواطنة من خلال تحليل محتويات الخطب ومضامينها.

أسئلة الدراسة:

تمثل السؤال الرئيس للدراسة في ما يلي: ما دور خطب المسجد الحرام في تعزيز قيم المواطنة؟، ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1 – ما مفهوم المواطنة، وما مكوناتها، وخصائصها، وأبعادها؟

2 – ما قيم المواطنة من منظور التربية الإسلامية، وما مصادر اشتقاقها؟

3 – ما دور خطب المسجد الحرام في تعزيز قيم المواطنة؟

4 – ما قيم المواطنة التي ينبغي تضمينها في خطب المسجد الحرام؟

5 – ما مدى تضمين خطب المسجد الحرام لقيم المواطنة ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1 – توضيح مفهوم المواطنة، ومكوناتها،وخصائصها،وأبعادها.

2 – إبراز قيم المواطنة من منظور التربية الإسلامية، والكشف عن مصادر اشتقاقها.

3 – توضيح دور خطب المسجد الحرام في تعزيز قيم المواطنة.

4 – التعرف على قيم المواطنة التي ينبغي تضمينها في خطب المسجد الحرام.

5 – الوقوف على مدى تضمين خطب المسجد الحرام لقيم المواطنة.

أهمية الدراسة:

-تتناول الدراسة موضوع المواطنة الذي يعد من أهم موضوعات العصر وكونه ضرورة لتحقيق الاستقرار والأمن للمجتمع والوطن.

-تسهم الدراسة بمشيئة الله تعالى في إبراز المضامين التربوية المتعلقة بقيم المواطنة في خطب المسجد الحرام.

-تأتي الدراسة لإبراز أهمية خطب المسجد الحرام ودورها في تحقيق الأمن الوطني من خلال تعزيز قيم المواطنة بين أفراد المجتمع.

-تسهم الدراسة بمشيئة الله تعالى في سد أوجه النقص في الدراسات والأبحاث العلمية التي تناولت دور خطب الجمعة في تعزيز قيم المواطنة.

-تأتي الدراسة في ضوء توصيات الباحثين والمختصين بدراسة هذا الموضوع الحيوي وسبل تعزيزه من قبل مؤسسات المجتمع بصورة عامة وخطب الجمعة بصورة خاصة.

-تسهم الدراسة بمشيئة الله في التعرف على قيم المواطنة التي ينبغي تضمينها في خطب المسجد الحرام.

-تكشف الدراسة بمشيئة الله مدى تضمين خطب المسجد الحرام لقيم المواطنة.

حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة فيما يلي:

- **الحدود الموضوعية:** تتمثل الحدود الموضوعية في الكشف عن دور خطب المسجد الحرام قيم المواطنة ومدى تضمينها تلك القيم، دون غيرها من الموضوعات الأخرى .
- **الحدود المكانية:**تتحدد الحدود المكانية في المسجد الحرام بمكة المكرمة دون غيرها.
- **الحدود الزمانية:** خطب الجمعة في المسجد الحرام في العام 1439هـ.

مصطلحات الدراسة:

الخطب:

الخطبة لغة: خطب الخاطب على المنبر خطابة وخطبة: قرأ الخطبة على من حضر وتكلم بكلام الله تعالى للتقوى ووعظ، وخطب الشيء يخطب خطباً كان أخطب، وخطب وخطب الرجل يخطب خطابة صار خطيباً(البستاني، 1983م، ص240).

وعرفت الخطبة في الاصطلاح بأنها: "فن مخاطبة الجماهير للتأثير عليهم واستمالتهم" (سالم،1426هـ، ص10).

قيم المواطنة :

عرّفت الموسوعة العربية العالمية المواطنة بأنها:"اصطلاح يشير إلى الانتماء إلى أمّة أو وطن" (الموسوعة العربية العالمية،1996م،ص311).

أمّا المفهوم الإسلامي للمواطنة، فينطلق من خلال القواعد والأسس التي تبنى عليها الرؤية الإسلامية لعنصري المواطنة،وهما الوطن والمواطن، ويقصد بها في ضوء ذلك بأنها: "تعبير عن طبيعة وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام، وبين من يقيمون على هذا الوطن أو هذه الدار من المسلمين وغيرهم"(هويدي، 1995م، ص13).